العروض

بحث وتنقيب

بقلم الاب فرنسيس قندلا اليسوعي

كان للشعر عند العرب اهمية وتأثير فائقان . في وصفه قال ابن قتيبة : الشعر معدن علم العرب وسفر حكمتها وديوان اخبارها ومستودع ايامها والسور المضروب على مآثرها والخندق المحجوز على مفاخرها والشاهد العدل يوم التفار والحجة القاطعة عند الخصام ومن لم يُقِم عندهم على شرفه وما يدّعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميد بيتاً منه شذّت مساعيه ولو كانت مشكورة ودرست على مرور الايام وان كانت جساماً ومن قيّدها بقوافي الشعر وأوثقها باوزانه وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر والمعنى اللطيف أخلدها على الدهر وأخلصها على الجحد ورفع عنها كيد العدو وغضّ عين الحسود :

وقد اوجز ابو تمام هذا الوصف بالبيت المأثور :

ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بُناةُ العُلى من اين تُؤتى المكارم

هذا مما يجعل البحث في شعر العرب كبير الاهمية في تعلّم لغتهم وتذوّق عذوبتها وتفهّم مناقبهم واخبارهم وايامهم .

اننا في هذا المقال لا ننوي بحثاً تدريسياً في علم الشعر تعريفاً وفناً فالطالب يجده بسهولة في كتب اللغة . ليست غايتنا الا إبداء شروح وابداء آراء[1]

١) لقد استقينا في هذا المقال ببحث موجز للمرحوم الاب بولس ماترن اليسوعي

قد يكون لها شيء من الفائدة لمن شاء التعمق في خصائص العروض العربي وعوارضه .

قبل ان ندخل في موضوع بحثنا لا بدّ من تذكير القارئ معلومات عومية ضرورية لفهم ما قصدنا عرضه عليه في مقالنا .

حدّدوا الشعر فيما يختص بصيغته : كلام ذو اجزاء تساوت فيها مقاطع الالفاظ عددًا ونوعاً . يقوم اذن علم العروض بمعرفة اوزان الشعر وانواعه . فالنظم عند العرب ليس مقطعياً كما هو الحال في اللغات الحديثة لكنه قياسيّ لا يكتفي بتوازي عدد مقاطع الكلام المنظوم لكنه يطلب مراعاة انواعها وفقاً لاوزان موضوعة . وتتركب اوزان الشعر من مفاعيل يسمونها ادوارًا منها يتركب بيت الشعر بشطريه وهما المصراعان : الصدر والعجز . والادوار تتركب من عنصر جوهري هو الوتد ومن الاسباب والفواصل[1] . والوتد جوهري في الدور لانه لا يقبل التغيير ابدًا في حشو البيت فاذا دخله التغيير في عروض البيت او ضربه تغيّر بذلك قياس الشعر فظهر هذا التغيير وجوباً في كل ابيات القصيدة . اما الاسباب وفيها الفواصل فتدخلها التغييرات من تخفيف وتقصير وتمديد وحذف وزيادة دون مسّ في القياس . ويكون الوتد اما مجموعاً (متحرك فمتحرك فساكن نحو : دَرَىَ) او مفروقاً (متحرك فساكن فمتحرك نحو : أَيْنَ).

والادوار اما خماسية تتركب من الوتد وسبب واحد وإلا فهي سباعية .

ويجور الشعر عند العرب ستة عشر عرف منها الخليل واضع العروض

---

١) قسموا الفاصلتين الى صغرى وكبرى . والاصحّ ان الكبرى (متحرك فمتحرك فمتحرك فساكن) لا توجد في تركيب الادوار . ولا نرى لاي غاية ذكرها العروضيون . اما الصغرى (متحرك فمتحرك فساكن) فليست بالحقيقة الا سببين متتابعين ثقيل وخفيف .

خمسة عشر ثم زاد عليها الاخفش بحر المتدارك وهو السادس عشر وهي تُقسم الى ثلاثة اقسام الاول يحتوي احد عشر بحرًا لا يدخلها الا ادوار سباعية وهي : الرجز والمنسرح والمقتضب والرمل (التام) والخفيف والمجتث والهزج والمضارع والكامل والوافر والسريع — والثاني يحتوي بحرين مركبين من ادوار خماسية وهما : المتقارب والمتدارك — والثالث يحتوي اربعة بحور ممزجة وهي : الطويل والبسيط والمديد .

الادوار الاصلية عشرة منها اثنان خماسيان : فعولن وفاعلن : والثانية سباعية :

مفاعيلن فاعلاتن(١ مفاعلتن فاعلاتن مستفعلن(٢ مستفعلن مفعولاتُ مفاعلن

هذه معلومات موجزة عن فنّ العروض ارسلناها قبل مقالنا للتذكير

٥

جدول اول : في الادوار العروضية الاصلية : ترينا بان كل ترتيب قياسي ممكن قد تمّ بهذه الادوار العشرة الموضوعة :

اولًا : الخماسي

١ : وتد مجموع قبل سبب فعولن (٧ —) —

٢ : وتد مجموع بعد سبب فاعلن — (٧ —)

---

١) يختلف موقع وتد هذا التفعيل ونوعه حسب البحور فانه في المضارع يأتي مفروقًا قبل السببين : فاعلاتن وفي الرمل مجموعا بين السببين : فاعلاتن .

٢) كذلك هذا التفعيل يختلف موقع وتده ونوعه حسب البحور فانه مفروق في الخفيف والمجتث حيث يقع بين سببين : مستفعلن . وهو وتد مجموع في الرجز يقع بعد السببين : مستفعلن .

ثانياً : السباعي

٣ :	وتد مجموع قبل فاصلة	مفاعلتن	(٧ –) ٧٧ –
٤ :	وتد مجموع بعد فاصلة	متفاعلن	٧٧ – (٧ –)
٥ :	وتد مجموع قبل سببين	مفاعيلن	(٧ –) – –
٦ :	وتد مجموع بين سببين	فاعلاتن	–(٧ –) – –
٧ :	وتد مجموع بعد سببين	مستفعلن	– – (٧ –)
٨ :	وتد مفروق قبل سببين	فاعلاتن	(٧ –) – –
٩ :	وتد مفروق بين سببين	مستفعلن	– (٧ –) –
١٠ :	وتد مفروق بعد سببين	مفعولات	– – (٧ –)

ملاحظات : اولاً : لا بد في كل دور من وتد وهو يظهر فيه ظهور العلة الفاعلة للايقاع .

ثانياً : اذا كان البيت مركباً من ادوار مختلفة يجب ان يكون موضع الوتد واحداً في كل منها اي ان يكون في اول الدور او في وسطه او في آخره فلا يتركب اذن البيت مثلاً من فعولن ومستفعلن لكن من فعولن مفاعيلن او مستفعلن فاعلن . . . .

ثالثاً : لا يدخل التغيير على الوتد اما الاسباب والفواصل فيجوز فيها التغيير فيتحول مثلاً ٧ الى ٧ او ٧٧ الى – فيصير مثلا مستفعلن : مفاعلن او مفتعلن . . .

٥

جدول ثانٍ : البحور الاصلية

اولاً : البسيطة تقوم بتكرار دور واحد . وهي سبعة :

١) المتقارب : فعولن فعولن فعولن فعولن
٢) المتدارك : فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن
٣) المزج : مفاعيلن مفاعيلن
٤) الرمل : فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
٥) الرجز : مستفعلن مستفعلن مستفعلن
٦) الوافر : مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
٧) الكامل : متفاعلن متفاعلن متفاعلن

ملاحظة : ولا يمكن ايجاد غير هذه البحور السبعة البسيطة . فان الاجزاء الاصلية ولو كانت عشرة فانواعها سبعة اذ تُعتبر مستفعلن ومفعولاتُ نوعاً واحداً لان عدد الاسباب في كليهما واحد ومركز الوتد بالنسبة الى السببين هو هو في الجزئين اما كون الوتد مجموعاً في مستفعلن ومفروقاً في مفعولاتُ فليس مقوّماً لنوعية الاجزاء .

ثانياً : المتزجة المؤلّفة من ادوار خماسية وسباعية — هي ثلاثة :

١) الطويل : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
٢) المديد : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن(١
٣) البسيط : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

ملاحظة : يمكن استنباط اوزان ثلاثة اخرى بتغيير نظام التفاعيل : مثلاً (للطويل) : مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن . وكذلك للمديد والبسيط .

ثالثاً : المتزجة المؤلّفة من ادوار سباعية[٢] فقط — وهي ستة :

١) المضارع : مفاعيلن فاعلاتن
٢) المخيف : فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
٣) المجتث : مستفعلن فاعلاتن
٤) السريع : مستفعلن مستفعلن فاعلن(٣
٥) المنسرح : مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن
٦) المقتضب : مفعولاتُ مستفعلن

ملاحظة : انتبه لمحل الوتد في ادوار كلّ من البحور فانه مجموعاً كان او مفروقاً يلزم دائماً عين المحل فلا يدخل ابداً في تركيب بحر واحد ادوار تختلف فيها مواقع الوتد والا اختلّ فيه الوزن وارتبك الايقاع .

١) مجزوء
٢) وهي تتركب من وتد وسببين
٣) مقطوف

جدول ثالث : ما يمكن من الادوار العشرة الاصلية مزجها لتركيب اوزان البحور باعتبار موقع الوتد المجموع او المفروق فيها :

موقع الوتد	سبب واحد	سببان	فاصلة
١ً – في اول الدور :	فعولن – (٧ –)	مفاعيلن – – (٧ –)	مفاعلتن (٧ –) ٢٢ –
		فاعلاتن – – (٧ –)	
٢ً – بعد السبب :	فاطن – (٧ –)	فاعلاتن – (٧ –) –	
		مستفعلن – (٧ –) –	
٣ً – في آخر الدور :		مستفعلن – – (٧ –)	متفاعلن ٢٢ – (٧ –)
		مفعولاتُ – – (٧ –)	

جدول رابع : البحور والاوزان حسب موقع الوتد في الادوار العشرة الاصلية :

	البحور البسيطة	البحور المتزجة	
اولاً–١	: الوتد قبل سبب	: فعولن : المتقارب	الطويل
٢	: الوتد بعد سبب	: فاعلن : المتدارك	البسيط
ثانياً–٣	: الوتد قبل فاصلة	: مفاعلتن : الوافر	
٤	: الوتد بعد فاصلة	: متفاعلن : الكامل	
ثالثاً–٥	: وتد مجموع قبل سببين	: مفاعيلن : الهزج	الطويل

٦ : وتد مفروق قبل سببين : فاعلاتن(١) :		المضارع
٧ : وتد مجموع بين سببين : فاعلاتن :	الرمل	المديد والمجتث والخفيف
٨ : وتد مفروق « « : مستفعلن(١) :		المجتث والخفيف
٩ : وتد مجموع بعد سببين : مستفعلن :	الرجز	السريع والبسيط والمقتضب والمنسرح
١٠ : وتد مفروق « « : مفعولات :		السريع والمقتضب والمنسرح

ملاحظات : اولاً : كما هو ظاهر في هذا الجدول لا يخرج من الادوار لتركيب اوزان البحور الا التي ذكرناها على سطر واحد فان موقع الوتد يجب ان يكون واحداً في جميعها - ثانياً : لكي يكون مصراع الوزن كاملاً يجب ان يكون عدد ادواره اذا كانت خماسية او مخترجة اربعة واذا كانت سباعية ثلاثة والا فيعتبر مجزوءاً .

من بحثنا هذا ينتج ان للوتد في اوزان العروض العربي اهمية عظمى وانه في الدور كالروح في الجسد منه يقتبس حركة حياة منتظمة وكمال الاتساق والتوازن ورتته المتينة العذبة ونغمة ايقاع موسيقي فريدة لا تجدها البتة في سائر اللغات القديمة والحديثة .

لكن كثيراً ما قد اساء الاستفادة من خلال الشعر النادرة هذه قائلو الشعر العربي فوضعوا فيها كل جماله واهملوا ما هو الاثمن والاسمى فيه اعني المعاني البديعة الجليلة التي تختلج في الفاظه الموزونة وبها تلج الى النفس والقلب فاننا نسمهم في قولهم الشعر يضحون للذة رنته ما تحتويه معانيه من ثورات حسية وهزات العواطف السامية الشريفة فهم لا يعبأون البتة فيما تقتضيه هذه المعاني من حسن الوقف حيث يجب الوقف وتغيير نبرات الصوت مع اختلاف

١) نرى صواباً رأي الاب خليل اده بان يُعتبر بين فاعلاتن (المضارع) وفاعلاتن (الرمل والمديد والخفيف والمجتث) فيُسمى الاول مثلاً مفعلاتن ويحتفظ الثاني باسمه - كذلك التفعيل : مستفعلن (الرجز والسريع والبسيط والمقتضب والمنسرح) ومستفعلن (المجتث والخفيف) فيسمى الثاني : مفعولتن .

المعنى عاطفةً وتأثيرًا فيقطّعونه كما يقطع التلميذ الادوار عند تعلمه علم العروض تفعيلًا تفعيلًا مضحّين المعنى للوزن — والخدمة المعنى أوجد الوزن — مضحّين الروح للمادة والجوهر للعَرَض[1] .

---

١) وقد اعتاد كثيرون حتى في قراءة الكلام المنثور وفي الخطب نفسها ان ينشدوه انشادًا على لحن واحد ونغم واحد وهم يشبعونه تفخيمًا متلذّذين بسماع الفاظه وتراكيبه غير مهتمين لما يحتويه من معانٍ كمن لا يفقه ما يقول ولا يرى فيها يقرأ الا جمال اللفظ والرنّة وهذا في القارئ امر عائب وللسامع مصدو تعب وسآمة .